أن السكوت عن شيء لا يدل على نفيه كما صرح به الشوكانى فى النيل ناقلا عن ابن القيم (ص١٥١ ج١) ولفظه: فسكوت أنس عنه لا يدل على نفيه، وقد أثبته حديث المغيرة" اهـ[١]. وبعد ذلك، فلا يتم الاحتجاج بتلك الروايات بمجرد اقتصارهم على ذكر العمامة، وسكوتهم عن مسح الرأس ما لم يرد منهم تصريح بترك المسح على الناصية أو على جزء من الرأس ولم يثبت ذلك بعد. ثم إذا ثبت ذلك فلا بد من التصريح بكونه بعد نزول المائدة، وكونه من غير عذر أيضا، وإلا فيجب حمل المجمل على المفسر، والمطلق على المقيد، لا سيما إذا كان المفسر والمقيد أقوى سندا وأشهر رواية من غيره، وههنا كذلك، فإن حديث المغيرة بن شعبة من أشهر الروايات فى الباب وهو مصرح بمسح الناصية مع العمامة. وأما قول الجوزجانى: "وفعله الخليفة الراشد أبو بكر الصديق إلخ" فلا يجدى شيئا ما لم يثبت صراحة أنه مسح على العمامة ولم يمسح على الرأس أصلا، وليس كذلك، بل الذى روى عنه بطريق عبد الرحمن ابن عسيلة الصنابحى عند ابن أبى شيبة أنه قال: "رأيت أبا بكر مسح على الخمار[٢]". كذا فى "كنز العمال" (ص١١٢ ج٥). وهذا يحتمل الذى يحتمل غيره من الاقتصار على المهم، وترك مسح الناصية، لكونه معلوما عندهم، مع ما مر من الاحتمال فى لفظ "الخمار" أيضا. قال فى عمدة الرعاية: "ولا يجوز المسح على عمامة ولا على قلنسوة وبرقع، والوجه فى ذلك كله أن ثبوت المسح وقيامه مقام الغسل على خلاف القياس، فيقتصر على ما ورد به النص، ولم يرد فى الشرع الاكتفاء بالمسح على هذه الأشياء وقيامه مقام الغسل، ولا دخل للرأى فيه حتى يثبت جوازه بالمسح على الخفين[٣]" وهذا كله قول الجمهور، واختار أحمد

---

(١) باب مسح الرأس كله وصفته، تحت حديث عبد الله بن زيد رضـ (١٣٦/١ ط ١٣٤٦ هـ) وفيه شيء من التقديم والتأخير.

(٢) كذا فى الأصل، ومثله فى الكنز (طهارة، أفعال مسح العمامة رقم ٢٣٥٩) وابن أبى شيبة (١٧/١ طبع مولتان) ولكن وقع فى النسخة المطبوعة بحيدر آباد من مصنف ابن أبى شيبة (٢٢/١ من كان يرى المسح على العمامة) "حميد بن غسيلة الصنابحى"، فلعله خطأ وما أثبته المصنف أولى لأن الترمذى رحـ يقول فى "باب ما جاء فى فضل الطهور" من جامعه: والصنابحى الذى روى عن أبى بكر الصديق ليس له سماع من النبى ﷺ، واسمه عبد الرحمن بن عسيلة ويكنى أبا عبد الله رحل إلى النبى ﷺ فقبض النبى ﷺ وهو فى الطريق".

(٣) كذا فى الأصل، وفى عمدة الرعاية: "بالقياس على المسح على الخفين" (باب المسح على الخفين ١١٣/١ من ط كراتشى).